نفرتيتي والمثال

دراما شعرية في ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

الملك أخناتون	بريرا — كبير كهنة آتون
الملكة نفرتيتي	ماهو ـ رئيس الشرطة
مختمس ـ المثال	وصيفة الملكة
سنوحي — طبيب أخناتون	حارس الملك الخاص
المشير ناخت — وزير أخناتون	

المنظر الأول

(يمثل المنظر الاول احدى قاعات القصر الملكي بمدينة اخيتاتون Akhetaten الشهيرة اليوم باسم تل العمارنة عاصمة المملكة المصرية في عهد الملك أخناتون ، وقد جلست الملكة نفرتيتي أمام المثال مختمس ليبدأ تمثالها . والوقت صباح يوم من أيام الربيع

نفرتيتي — (لمختمس) ! ما أنا من تبدع ولكنه فتنك الأبدع !
لاغبط في جلستي ما أراه فهذي الحياة وما تجمع
وما أنا الا عشير الحياة وما الفن إلا المنى الأرفع !

مختمس — أنا ما صغت ربة التاج الا لمحة من بهاء هذى الألوهة
كم معان تجيش بي وأنا أعجز عنها ! يا خجلتي من قصوري !
أنا طفل أمام حسنك مولاتي ! وبارعها . . . . .

نفرتيتي (مقاطعة) — . . . . . كفى يا (مختمس) !
مثل هذا التمجيد ليس له أهل سوى ربنا المعلّى (أتون)
الذي يمنح الحياة ويضفي في الضياع الحنون روح الفنون
أنت من نوره ، ولولا ما صغت الذي صغت من بديع الفتون !

مختمس — مرآك مولاتي هو المعنى المقدّس للوجود
مرآك من آياته حب الحياة بنا يزيد
خفيت معانيه وإن ظاهرت فزّرت العبيد
إلاّ ذوي الفن الاسارى للهواجس في القيود !

نفرتيتي — ما أبدع العصر الذي سويته
وكأنما هو نابض !

مختمس — نظرة منك نحوه تنفث الروح به وانقباض القنوع
كم صخور في حسرة تنشد الحب وتذوي في لوعة أو خضوع !

نفرتيتي — يدك الصناع هي الكفيلة وحدها بجمال ما يزري بكل جمال
ما ألطف الأذن التي سوّيتها والعين والأنف الشموخ العالي
والجبهة المتلألىء التفكير في ومضاتها كتلألؤ الآمال :

*

قل لي (مختمس) هل يحين تناولي عما قريب ذلك التمثالا
اني لجد ناورة بصليمه وكأنما هو كوكب يتلالا
كشفته عين الفن وهي قديرة تستأسر المتفنن المتمثالا

مختمس — مثل هذا التمثال كالشمس لا يفرغ من صنعه مدى الأزمان
كل شيء منها يعود اليها في حياة مديدة الدوران
والذي يدعي التكفل بالتعبير عنها يلج في الهذيان
والذي يدعي التمكن في عصر يحدّ ، في الوهم فاني
جلّ ربي (اتون) ! ما الخلد إلاّه ، ومن وحيه تهمى الفنّان
أنا ما عشت ناحت أقبس النور ، ولن أنتهي بفني الآناني !
أنا ما عشت ملء فني وجودي... ووجودي بوحيك النوراني !

نفرتيتي — ها ها ها !
أنت في الحلم لا تفيق فآذر إن بعض الأحلام فيها الهلاك !
ذا (مريرا) يراك غالبت في النحت ، وكان الأولى (أتون) العظيم
ورئيس الكهنوت ليس الذي يغفل رأي له لدى (أخنتون)

ثم هذا (ناخت) المشير يرى أيضاً تلكؤاً منك جمّا!
(يسمع وقع الاقدام)
وإخال الجميع آتين للفحص وكي يقدروا الذي قد صنعت!

(يدخل الملك اخنتون وبصحبته كبير الكهنة مريراً والمشير "ناخت"، وطالما ألف على الملك اخنتون بوقف صنع تمثال نفرتيتي لان تحمس اقنع الملكا بانه طويلا حين الدولة تحرج الى نقله لتمثيلها الدينية العامة . وما تلكأ تحمس في صنع التمثال إلا لانه أحب الملكة نفرتيتي حبا جماً ، فتعلق الى هذه نهاية بصنع تمثالها . وعلى أثر دخولهم يبدأ الملك اخنتون بالحديث) .

أخنتون — (لنفرتيتي) ! هذه تحفة فنّان عظيم!
إن فيها قلبه حيا وإعاناً وتدينا !

تحمس (مرتبكاً) — مولاي ! هذا نبل متّاح عزيزا!
يا ليتني أهل لهذا العطف يا رب البلاد !

مريرا — أما انا ، فأرى برصين الكاهن الأهل هنا
هذا التجاوز في التفنن فوق مقدور الورى
وإخاله خطراً على صدق التفرغ للديانه
لم أنق تمثالا بتانه جلالا أو سنا !

تحمس (مخاطباً مريراً) — سيدي ! اني الوفيّ لديني
غير أني الوفي أيضاً لفني

المشير ناخت — اني كذلك يا مولاي يشغلني أنّا انصرفنا عن التقديس للدين
هذا (تحمس) أولى أن يخص به دور العبادة في تحت وتزيين
أما المليكة فالتمثال ليس لها إلا كظل ضئيل في القرابين
حسن كهذا ضنين أن يمثله فنّ وأعظم من حكم الموازين !

نفرتيتي — والآن هل لي أن أعبر عن شعوري ، لو سمحتم
يا من تفاليتم بأطرائي وتقديسي أبحتم ؟ !

أخنتون — ما شئت انت جميعنا يرضاه !

نفرتيتي — إذن فاعلموا اني الصغيرة للفن
كذلك زوجي لم يجد مرة مضى

كلانا يجلّ الفن إجلال عاشق
ويلمسه بالفكر والسمع والعين
فلن تحرموني لذة الفن هذه
ولن تحرموا الفنان ما يرتجي مني !

اخناتون — إن الفنون عبادتي وأجلّ قربان لربي
هيهات أحمدها ! وكيف ، وكلها مرآة قلبي ؟
ملكي يدعّم من سناها لا بأسلحة وحرب

مريرا (قاسياً) — هذا ازورار يا مليك عن الشريعة ، فلتحاذر !
(مخاطباً نفسه) — إن هذا الخيال شؤوم وأولى أن تراه محطّماً مقبوراً !
فتنة للانام إن ظلّ فيهم !

أخناتون (عتجبًا) — يا أبي لست من يقول نكيرا
إنما الناس بالفنون يعيشون ولولا الفنون كانوا سوائم !
ديننا الحق روحه من سناه ! إن جفا الفن ظل كالليل حائم :

•

ثم ماذا تقول يا (ناخت) ؟ مالي لا أرى منك غير صمت عجيب
يا مشيري ! هل من رجاء سوى الفن نصيراً وراعياً لا يخيب ؟

المشير ناخت (معارضاً) —
هو سحر العقول ما لم يطوّع في نظام للدين والديان
إنّ رأيي كما يقول (مريرا) ، فهو أدرى بالضعف في الانسان !

أخناتون (متعجباً) — من علّم الدين قبلي نور الحياة البهيجه ؟
فالدين في فرحي الصبيّ الجارف
والدين في قلقي الجميل الطائف
والدين نبع من أتى عواطفي
يضفي الأمان على الحزين الخائف

مريرا — (في حزم) إن الكهانة وحدها عين النجوم الساهرة !
نفرتيتي (ساخرة) — عجباً ! أعلم كل ما يا طالما علمته

يا طالما ابتسمت من ناموا بأنفاس الخمائل
ونثرت أحلامي فكانت كلّ ما صوّرته
للناس من دين المحبة لم يدانّس بالسلاسل !

مربرا (غاضباً) — لم يبق الا أن أقول لكم بصوت (اتون) حتما
هيهات أسمح أن نقيم لغيره رمزاً ورسما
لا بدّ يطمر أو يحطّم ذلك التمثال فورا
لا تحرجوني واسمعوا وعظي !

نفرتيتي (ساخطة) . . . . . تناشد أنت ذكرا !
(بصوت حال مدو)

المنظر الثاني

(يمثل المنظر الثاني حديقة القصر الملكي بل الجارة أو مدينة أخيتاتون ، وقد خرجت الملكة إليها للتنزه وسمعا وصيدها والتطيب بسنوحي ، والوقت أصيل بعد مرور شهر من المنظر الاول)

نفرتيتي (تقلب قرنفلة فريدة في يدها) —

ما هذه القرنفلة ؟ لعلّها مدلّله !
قد نشرت زينتها عرائساً مكلّله
أوراقها في صبغها خواطر وأخيله
رشيقة مبلبله !

الوصيفة — هي صنف أحله البستاني موضعاً فائقاً من الايثار
أبدعها بداه قبل الأوان في حنان وخصّها بالعطار
قال هذي قربانه لحيّا ك العزيز الجميل بين الدراري
مثلما راعنا (تحتمس) بالنعـ ـت ، فهذا يروع بالأزهار !

نفرتيتي — جنّبي ذكره ، فقد صارت الذكرى عذاباً لقلبي المجروح !
خطفوه وضيعوا فنه الغالي !

الوصيفة — . . . . . لبئس الذي أثره جنونا
إن حزني لمثل حزنك مولاتي !

سنوحي — . . . . . وحزني كذاك ليس يهون
بيد أنّ الأب المبجل ينهى أيّ شأن له بهذي الفجيعه

نفرتيتي — كيف ينهى ؟ نعم ، عجيب (سنوحي) من ترى غيره أثار الغبارا ؟
حارب الفنّ بعد ما كان حاميه ، كأني ارتكبت إثماً وعارا
يا طبيب الملك ، قل لي : أغرّ ومريض من يجعل الفنّ دينا ؟
هل (أتون) العظيم إلاّ ضياء وبهاء يستأسر الناظرينا ؟

سنوحي — الناس مولاتي — وإن سعدوا — كبارهم صغار
ما أبدر الحيّ الذي تحدّ الجمال له هما وعار
وأحطّ عند الآلهة خافقاً لمّاعا
فهو المراد للآلهة عزّة وشعاعا

(يسمع أنين الشادوف)

نفرتيتي — ما ذلك الباكي الأنين ؟

الوصيفة — هذا هو الشادوف يا مولاتي

نفرتيتي — . . . . . باك على الأحياء والأموات ؟

(استفهام)

الناس قد فقدوا الشجاعة حيّهم ، والميّتون إخالهم بنفاقهم
وغرورهم لم يصلحوا بمات

(تتأمل في شخص قادم من بعد)

من ذلك القادم ؟ . . . من دا ؟

الوصيفة — هذا ؟ . هذا رئيس الشرط

سنوحي (متأملاً) — متمهلاً يدنو .

الوصيفة (مستدركة) أخطأت مولاتي ، فهذا حارس الملك ، (يقترب الحارس) .

نفرتيتي — لعله أتى لنا بدعوة

حارس الملك — مولاتي

نفرتيتي — ماذا أتى بك يا فتى ؟

حارس الملك — مولاي

الملكة — تكلم . . . ما وراءك ! . . قل . تكلم

حارس الملك — عثرنا على التمثال والتمثال

المنظر الثالث

(يمثل المنظر الثالث الفاصل بين القصر الملكي بمدينة أخيتاتون وبين المنظر الأول بالليل ، وقد حضرت نفرتيتي بناء على دعوة أخنتون . وحضر بإذن الملك رئيس الشرط (ماهو) .
ويستهل المنظر بحديث بين (أخنتون) و (نفرتيتي)

أخنتون — أي (نفرتيتي) وقد دعوتك مهجتي لتشاهدي تمثالك المحبوبا

نفرتيتي — وافرحتي برجوعه
أأحضره (مريراً) بعد لأي كضن الليل بالنور الحبيس ؟

أخنتون — كلا ، فما هو قدره

نفرتيتي — إذن من الرأي الذي خبأه ؟

أخنتون — إنها لقصة عجيبة

نفرتيتي — وما هي ؟

أخنتون — تكلم أنت يا (ماهو)

نفرتيتي — وأين (نحتمس) ؟ أين ؟
ألم تهتدوا الى مسكنه ؟

ماهو — أصارح مولاي بما قد رأيته فلم تر عيني مثله بحياتي
رأيتُ فتى صفلقياً فوق وجهه صريعاً كأنون بحسر صلاة
وقد وضع النبق على رأس نحتمس وفي يده اليسرى . . .

نفرتيتي — . . . . . أجب من هو الفتى ؟

ماهو — رويدك مولاتي !

نفرتيتي — . . . اجبني فإنني أضيق بوصف لا يجيب سؤالي !
أجبني فهذا الأمر قد سامني أذى وشر الأذى ما قد ينال خيالي ؟

ليالي كم قد نالني من وساوسي ... ومن أرق ما كاد يرهق بالي
وأي أذاة قد أصابت (نحتمس) ؟ ... أجبني ! أم استهوته رشوة مال ؟

ماهو — هنالك مولاتي ! وسراً : ذاتي ... سأبلغك الحق الصريح !

تنرتيتي — . . . . . أجب إذن

ماهو (مكملاً حديثه) — ... وفي يده اليسرى اعتراف بذنبه
ومن عجب قد صاغه لحن شاعر !

ولما أردنا رفعه كان ميتا . .

تنرتيتي — آه ! ما للمأساة هذي ؟ من ترى ... ذلك السارق من لاق جزاءه؟
أترى (نحتمس) كان مسؤلا لما قد ناله ؟
ثم ما مغزى رسالته التي طالعتمونا ؟

ماهو — كانت رسالة مؤمن بالفن يعبده عباده !

تنرتيتي — عجباً !

ماهو — . . . وقد عدّ التمثل فيه غايات السعاده
وأقام حجرته هنالك هيكلا وبها اقيم صيامه وتبتّله
حتى تقدم للمنية هادئاً مثل الشهيد وما تحقق مأمله

تنرتيتي — عجباً عجباً .
كل هذا يجري وقد غاب طويلا (نحتمس) . . ابن غابا ؟
رغم ذاك التلكؤ الجم منه لا ارى في سليمه النفذ غابا
فعليكم أن تبذلوا الجهد في البحث
. . . . . .

ماهو — . . . . . ارى البحث في النهاية غابا

تنرتيتي (دهشة وجلة) — كيف غابا؟

ماهو — (حزنياً) . . . . . لقد تأخر مسعانا !

تنرتيتي(حائرة ، متعجبة) —
على العكس قد ظفرتم بغنم بعد يأس برجعة الفنان

ماهو — (في حزن عميق) كان ذاك الميت الشهيد (نحتمس)

[النهاية]